

## الفصل التاسع

### في غيبة التشريع الإسلامي

هذا الإسلام الذي نشأت عليه والذي أحمد الله حمداً جزيلاً على هذه النعمة الكبرى التي لا تعدلها نعمة ، قد طبق وخرج عن أن يكون مجرد مبادئ إلى أن أصبح واقعاً ، فأنج بعقائده ، وأخلاقه وتشريعه خير أمة أخرجت للناس ، واستمر الإسلام يطبق التشريع الإلهي المعصوم عدة قرون ، إلى أن أنشئ في مصر ماسمى بالمحاكم المختلطة ، وتخلت فيها عن التشريع الإسلامي ، وفي هذه الفترة بالذات بدأ الاحتلال وبدأ التخلي كلية عن التشريع الإسلامي ، فإنه حينما احتل المستعمرون أرض الإسلام بدءوا يهدمون كل ما يقوى الشعور الإسلامي في النفوس ، ومن أجل ذلك غيروا القوانين الإسلامية ، وأتوا بقوانين أوربية ، ألزموا بها أهل الأوطان المحتلة ، وأتوا بقضاة من بلادهم يحكمون بقوانينهم ، وينشرون تشريعهم ، ولم يكفوا بذلك ، وإنما أنشئوا مدارس لتعليم القوانين الأوربية ، وأصبحت هذه المدارس كليات حينما أنشئت الجامعات ، هي : كليات الحقوق ، وهذه الكليات تدرس القوانين الأوربية ، وتنفق عليها الدولة لتخرج قضاة ووكلاء نيابة ومحامين تخصصوا في التشريع الأوربي ، واستمر الأمر كذلك السنين الطويلة ، فبدأ على مر الزمن وكأنه أمر طبيعي ، وأصبح انفصال المسلمين عند شريعتهم ، وإحلال شريعة أوربا محلها

امراً عادياً ، ولا يحدون غصاصة في إنفاق الأموال الطائلة على كليات تفصلهم  
عن تشريعهم الإسلامى ..

وما من شك في أنهم كانوا مغلوبين على أمرهم أيام أن كان الاستعمار جاثماً  
على صدور الأمم الإسلامية بأمر فيها وينهى ، ولكن الاستعمار قد خذله الله  
وانهزم ، ورجع المستعمرون إلى بلادهم ، وكان من الطبيعي أن يزيل المسلمون  
آثار الاستعمار في : التعليم الذى وضع المستعمر براجه لتخرج مجرد موظفين ..

وفي اللغة التى كان يحاول أن يقضى عليها كما فعل في الجزائر ..

وفي الأخلاق التى حاول أن ينزل بها إلى مستوى لا تنهض معه أمة ..

وفي التشريع الذى جعله أورياً وأحله محل شريعة الإسلام .

ومها تكن مقاومة آثار الاستعمار في ميادين مختلفة مما أقصده ، فإن مقاومة  
هذه الآثار وإزالتها في مجال التشريع ، لا نجد لها أثراً في وزارات العدل في  
مختلف الأقطار الإسلامية ، ولا نجد لها أثراً في دوائر القضاء ..

ومن سخرية الأقدار أن يقول قائل : وأين القانون الإسلامى الذى

نحكم به ؟

إن القانون الإسلامى في كتب الفقه الإسلامى ، وكتب الفقه هذه ، كتب

عربية ألفاظها عربية ، وجملها عربية ، وخطها عربى ..

ولقد وصل الأمر بالاستعمار أن صاغ خريجي كليات الحقوق ، بحيث

لا يفهمون بعد اللبسان كتاباً عربياً في المواد التشريعية ، وليس الأمر

بغريب ؟ ..

أندرى أيها القارئ الكريم أن جدول التدريس في كليات الحقوق ،

يخصّص عشرين محاضرة في الأسبوع للقوانين الأوربية ، ومحاضرتين فقط للشرعة الإسلامية ؟ ...

أترى لو أنشئت هذه الكليات في فرنسا ، أو في إنجلترا ، أكانت تفعل أكثر من ذلك ؟ وهذه الكليات هي السرفى تخلفنا في مجال التشريع ، وذلك لأنها دفعتنا بالتبعية للمشرعين الغربيين ندور في فلكهم ، ونسير على خطواتهم ...

والتشريع الإسلامي من مفاخر الحضارة الإسلامية ، ورجال من نوابغ المفكرين في العالم ، لكننا الآن - بعد ذلك النبوغ وتلك العبقرية - قد أصبحنا أتباعًا مقلدين ...

وهذا للوضوع أطرحه أمام القادة . ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا فيما يتعلق بهذه الكليات ....

ولكن السؤال الملحّ الذى يطرح نفسه بعد ذلك ، هو ما حدث في غيبة التشريع الإسلامى ماذا حدث ؟ شر كله ...

وإننى حينما أتحدث عن فترة غيبة التشريع الإسلامى التى مازالت مستمرة ، لا أتحدث عن مصر وحدها ، وإنما أتحدث عن كل الدول التى غاب عنها التشريع الإسلامى وما زال غائبًا ..

أتحدث عن كل من الدول التى تتسبب إلى الإسلام ، وقد ألغت شريعة الله فيها . ماذا حدث في غيبة التشريع الإسلامى ؟

١ - حدث كل هذا الرجس الذى نراه ونشاهده أينا سرنا :

في المعاملات ، وفي السلوك ، وفي العقيدة ، وفي الاستهتار بالقيم الدينية استهتارًا بلغ من شأنه أن أصبح الإلحاد في دين الله من الأمور التى تمر

فلا تسترعى الانتباه؟ الإلحاد في دين الله كفرًا وارتدادًا . والإلحاد في دين الله استهتارًا بالقيم الدينية ...

٢. - والإلحاد في دين الله جدلا في الحدود القاطعة التي فرضها الله عقابًا على الجرائم . وإذا أخذنا الآن بعض الأمثلة فإننا نقول :

إن قطع يد السارق أمر فرضه الله لا خلاف فيه . وهو علاج ناجع ضد السرقة ، ويكفي أن يرى الناس الجلد في التنفيذ ، يكفي أن تقطع يد سارق أو اثنين أو عدد لا يصل إلى أن يعد على أصابع اليد ، فتمتنع عن السرقة نهائيًا . وقد تمر أعوام لا تقطع فيها يد . وذلك أن « طابع الحد » يجعل كل من تسول له نفسه السرقة ينظر إلى يده فيتخيلها مقطوعة . فيهرب ويهرب عن مجرد التفكير في الأمر ...

ولكن ذوى التفكير المنحرف . يهرجون بأن الأيدي سيقطع كثير منها فتكون البطالة ، وتقل الأيدي العاملة ، ويقل الإنتاج ، ويستمررون في هذا التهريج كلما دعا داع إلى كتاب الله ..

وفي غيبة التشريع الإسلامي أنشأت الدول المستعمرة في بعض الأقطار الإسلامية مزارع ومصانع لإنتاج الخمر ، والخمر على حد الوصف في القرآن :  
( رجس من عمل الشيطان ) ..

قليلها حرام ، وكثيرها حرام ، واتخاذها كدواء حرام ، فما جعل الله دواء أمي - كما قال رسول الله ﷺ - فيما حرم عليها . . . وقد ذهب الاستعمار إلى غير رجعة ، وكان من الواجب على هذه الدول أن تغير الوضع الاقتصادي فيها على المزارع والمصانع التي أعدت من قبل لإنتاج الخمر .. فلا بد من تحريم ما وصفه الله بأنه رجس من عمل الشيطان في كل الدول الإسلامية ..

٣- وفي غيبة التشريع الإسلامي ، كان هذا الطوفان من العرى ، ومن فتنة الجنس ، ومن هذه الأفلام التي تثير الغرائز وتفسد الشباب ، والتي تنفق عليها الدول أموالا طائلة وتخسر الملايين في سبيل ذلك ....

ومن المصائب التي تبكى ، أن يفكر في إنشاء المسارح في الأحياء الدينية ، وفي شهر رمضان وكان إنشاء مسرح للمطربين والمطربات و... و... من صميم الدين ؟ وكان الأولى أن يقام سرادق للقرآن أو الدعوة الإسلامية في المناسبات الدينية ، وفي كل الأوقات .

٤- وفي غيبة التشريع الإسلامي كان الربا ، وكثرت الرشوة والاختلاسات ، وكان كل هذا الرجس الذي تعيش فيه بعض الأقطار وللنظر إلى كلمات الله تعالى ، فنجدده سبحانه يقول :

( وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) .

ويقول : ( وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الظالمون ) ...

ويقول : ( وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الكَافِرُونَ )

ويقول : ( فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا ) .

والواقع أن الحكم بما أنزل الله هو إقامة حدود الله ، والله سبحانه وتعالى يقول في الصفات عن المؤمنين : ( وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ) وحفظ حدود الله ، وإقامة حدود الله - إنما هي لكل إنسان بحسب موقعه في المجتمع ...

فإذا ما طبق المجتمع حدود الله والتزمها ، فإن الله سبحانه يمده بنصر دائم ، وهو سبحانه يمد بهذا النصر الفرد إذا التزم حدود الله ، ويمد به المجتمع إذا طبق حدود الله : وقد أبان الله سبحانه وتعالى ذلك ، إنه سبحانه يقول :

( وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ) ..

أما دوام النصر فإن الله سبحانه وتعالى يقول عنه :

( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ) .

وما من شك في أن النصر من عند الله وحده :

( وما النصر إلا من عند الله ) .

وما من شك في أنه إذا نصر الله فلا غالب لمن نصره :

(إن ينصركم الله فلا غالب لكم) ..

ولقد وضع سبحانه قوانين للنصر ، ووضع قوانين لدوام النصر ، وكلها تتركز في طاعته فيما أمر ، وفي الانتهاء عما نهى ..  
أيها الإخوة المؤمنون ، إن قوله تعالى :

(ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم

تشكرون) ..

يجب أن يلمى دائماً في آذاننا ، وأن يكون دائماً على ألسنتنا ، وأن تمتلئ به قلوبنا وأن نحقق التقوى ...

وإن الذين يحبون أن يكونوا في عداد من رضی الله عنهم ورضوا عنه ، لن يصلوا إلى هذا الرضوان إلا إذا عملوا على نشر كلمة الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، والطريق أمامهم مفتوح للعمل والنشاط ..

ويكفي إرادة الخير ، ونية الخير ، ليصلوا إلى مرضاة الله ، وليكونوا في زمرة من رضی الله عنهم ورضوا عنه ويكونوا من حزب الله .

(ألا إن حزب الله هم المفلحون) .

وبعد :

فلا ريب في أن جهادنا المقدس للنهوض بالمجتمع ، كل ذلك لم يقته بعد ، ومن أجل الوصول بجهادنا إلى غايته التي نرجوه لها ، وهي تطبيق الإسلام بجميع كلياته وجزئياته ، يجب على كل منا أن يتحمل مسؤوليته في ذلك بحسب موقعه في المجتمع .

إن القرآن الكريم يستعمل مادة « أمر » حينما يتحدث عن مسئولية كل منا تجاه المجتمع الإسلامى :

( تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ) ..

والرسول ﷺ يستعمل « أمر » كذلك .... عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » ...

( رواه الترمذى وحسنه )

وروى الإمام مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« مامن نبى بعثه الله فى أمة قبلى ، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب ، يأخذون بيته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تحلف عن بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، وما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » ..

فإذا ما تحمل كل منا مسئوليته بحسب موقعه فى المجتمع ، عاد أمر الأمة الإسلامية إلى ما كان عليه : قوة وعزة ومرضاة لله تعالى ولرسوله ﷺ .

## خاتمة

### في أسس النهوض بالمجتمع الإسلامي

إلى أين نتجه ؟

ما هو الطريق ؟

كيف نبني أمتنا ؟

كيف ننهض بوطنتنا ؟

هذه الموضوعات فرضتها ظروف الأمم الشرقية التي تحررت من الاستعمار . وقد تحدث عنها الكثير من الكتاب ، والمفكرين ، والمحاضرين في بلادنا . وكانت الأفكار تأتي دائماً مرتبطة بأوروبا ، فكان بعضهم يعلن في صراحة لاجفاء فيها :

أن الطريق هو أن نتبع أوروبا خطوة بخطوة ، وأن نسير على نسقها ، إنها حضارة أثبتت جدارتها وتغلّبت وأصبحت مهيمنة . فإذا أردنا أن ننهض بأمتنا ، فإنا علينا إلا أن نسير بحسب هذه التجربة التي سارت فيها أوروبا ، فكانت حضارتها مهيمنة غلبة متفوقة .

ويأتي آخرون يقولون في صراحة لا لبس فيها أيضاً : إن هذه الحضارة أشقت الإنسانية . هذه الفكرة نفسها - كونها أشقت الإنسانية - أعلنها بعض

الأوربيين أنفسهم. إن الحضارة الأوربية أشقت الإنسانية. هذه الحروب المتوالية ، هذا الدمار المخرب ، هذا الامتصاص لدماء الشعوب الذى تفعله الحضارة الأوربية ... إنها لم تدع بيتا ليس فيه مآتم ، ولا قطراً هادئاً ، ووسائل الدمار والخراب والتكليل التى تخترع كل يوم فى صور رهيبة ... إن كل ذلك يفرض علينا فيما رأى هؤلاء أن نرفض هذه الحضارة ، نرفضها كلية ، وإذا كان الألوف يريدون أن يقبلوها موضوعاً وأسلوباً ، وعلماً ومنهجاً ، فإن هؤلاء الآخرين يحبون أن يرفضوها موضوعاً ومنهجاً وأسلوباً ، ولكن كيف يتأتى ذلك ؟ أتأتى أن تقطع صلتك بالطائرات ، بالمواصلات ، بالصيدلة ، بالطب ، بالهندسة ، بالزراعة ، بهذه الآلات التى تخترع كل يوم ، بالأدوية ... إن ذلك إذا نظرنا يميناً أو يساراً نجده فى كل بيت ، وفى كل شارع ، وفى كل بلد ، وفى كل حى ، وفى كل مدينة .

فكرة رفض الحضارة الأوربية ، تعتبر عادة فكرة تشبه أن تكون مستحيلة ، وهى على كل حال غير منطقية ويتناقض الرأيان : الرأى الذى يقبلها ككل ، والرأى الذى يرفضها ككل ، وينبع عن ذلك رأى ثالث ، كان عادة هو الرأى الذى ينال الاستحسان ، والذى يستيفه المجتمعون أو القارئون للمقالات .

هذا الرأى الثالث يقول : إن الحضارة الأوربية فيها الصالح وفيها الطالح ، وفيها السيئ وفيها الحسن ، وينبغى ، إذن ، إذا أردنا أن نهض مستفيدين بتجارب الغرب ، أن نكون ناقلين لتجارب الغرب ، فاحصين لتجارب الغرب ، محتبرين لتجارب الغرب ، وينبغى أن نأخذ من هذه الحضارة الأوربية الصالح منها ، ونترك الفاسد منها .

وكان هذا الرأي يسود بعد أن ترفض الآراء الأخرى . والحق أنك حينما تقول نرفض الحضارة الأوربية ، فإن ذلك يعتبر نوعاً من الخيال ، لأنها متغلغلة في كل مكان ، وإذا قلت نأخذ بالحضارة الأوربية فقد ألغيت ذاتيتك ، وأنهيت رسالتك وأصبحت مسامراً في عجلة أوربا ، وهذا مالا يرضاه مسلم ولا مفكر شرق أو إسلامي ، وذلك مع الأشياء الأخرى ، من وسائل الدمار والهلاك والشقاء ، الذي أوجده الحضارة الأوربية وكانت السبب في رفض هذا الرأي . ولا يبقى إلا الرأي الثالث الذي ينادى بأخذ الصالح وترك الفاسد من الحضارة الأوربية . وماذا يمكن أن تقول لشخص يقول لك تعال ندرس ، تعال نستفيد من هذه الحضارة فنأخذ بالصالح ونترك الفاسد ؟ أتقول إن رأيه غير رشيد ؟ أتقول إن رأيه فاسد ؟ إنه يدعوك للأخذ بالصالح وترك الفاسد . ومع ذلك فإنك إذا فكرت في هذا الرأي ربما وجدته أضعف الآراء مع هذه الوجهة كلها ، ومع هذا المنطق الذي يراه الكثيرون معقولا ، إذا فكرت فيه ، ربما وجدته أضعف الآراء .

**الرأي الأول :** الأخذ بالحضارة الأوربية - رأى جرىء يجابه الجور الإسلامي في جرأة ، بل في نوع من الوقاحة لا يبالى صاحبه بالرأي العام .

**والرأي الثاني :** رأى جرىء أيضاً صاحبه صريح شجاع ، يجابه الرأي العام فيما يتعلق بهذه الحضارة ؛ ولقد حاوله من قبل غاندى مثلا ، حينما بدأ بغزل ليتخلى عن الملابس التي تنسج بالآلات الأوربية ولكنه لم ينجح ، والهند الآن سائرة في طريق هذه الحضارة .

**لكن الرأي الثالث :** وهو الرأي المتوسط . إنه ككل الآراء المتوسطة .

والآراء المتوسطة عادة آراء الضعفاء . هذا الرأي المتوسط ماهى مساوته ؟ ماهى مفسده ؟

أولاً : الإقرار بشرعية تقليد الحضارة الأوربية . وهذا مالا يرضاه مسلم ، وحتى حينما نقول بتقليدها فى الصالح ، فهذا مالا يرضاه مسلم أيضاً . لا يرضى مسلم أن يفرض على العالم الإسلامى نوعاً من الشرعية فيما يتعلق بأخذه للبعض ، ولو للبعض فقط .. هذا من جانب أنك تفرض على نفسك التقليد وتحكم على نفسك بأن تكون مقلداً باستمرار ، وتحكم على نفسك مهما كان الأمر فى الاختيار . تحكم على نفسك أن تكون سائراً فى ركاب « الصالح » ، كما تقول ، من الحضارة الأوربية .

أين أنت ؟ أين شخصيتك ؟ أين ذاتيتك ؟ هذا أمر . الأمر الثانى : هو أننا بمجرد أن نبدأ فى الاختيار استحال هذا الاختيار . استحال ، لأن الناس يختلفون أمزجة وأهواء ومشارب . والأمر - أمر الاختلاف - فى غاية الوضوح . نأخذ مثلاً الاستحمام على الشواطئ . سيقول قوم إنها صحة ورياضة . سيقول قوم إنها رجس من عمل الشيطان ، ولا يتأتى مطلقاً أن يستيع المسلم أن يذهب إلى الشاطئ ويكشف عورته ، أو أن تذهب زوجته أو ابنته أو أخته إلى الشاطئ وتكشف عورتها . سيختلفون ، أنصار الشيطان سيقولون إنه مستساغ ، وأنصار الرحمن سيقولون إنه ليس بصالح .

الاختلاط ، اختلاط النساء بالرجال : سيقول قوم إنها حضارة وتقدم ومدنية ، سيقول قوم إنها فساد ورجس .

فائدة البنوك . سيقول قوم إنها عمل اقتصادى سليم سار عليه الاقتصاد الأوربى وما زال يسير ، سيقول قوم إن الفائدة ربياً وهى إذن محرمة . وتعال إلى

أى موضوع من الموضوعات النظرية هذه ، فستجد الاختلاف بين الفريق الذى يقبل ، والفريق الذى يعارض .

ورقص المحاصرة ، يمارسه قوم ويستيفونه ، ويلغيه آخرون ، كعامل من عوامل إثارة الشهوات ، ويرون فيه أيضاً انتهاكاً للعرض واضحاً .

الاتفاق إذن على الصالح : على كونه صالحاً ، وعلى الفاسد : على كونه فاسداً ، لن يتأتى ، والآراء كلها إذن تنهار أمام النقد وتختلف فيها . ماهو الطريق إذن ؟ أليس هناك إلا أن نأخذ بالحضارة أو نرفض الحضارة . أو نتوسط فنأخذ بالصالح ونرفض الفاسد ؟ وصلنا إلى طريق مسدود ، وكان لابد من أن نصل إلى الطريق المسدود ، لأننا لم نتجه الاتجاه السليم فى الموضوع . إننا نسينا إسلامنا وحضارتنا وثقافتنا وديننا . نسينا كل ذلك واتجهنا مباشرة إلى أوروبا . ولو نساءلنا من المبدأ :

ماهو المنهج الإسلامى فيما يتعلق بالتهضة . ماهى الطريقة الإسلامية فيما يتعلق بالتهضة ؟

إننا فى حضارة معينة ، فى دين معين ، فى ثقافة معينة ، فلم نترك كل ذلك ونذهب متسائلين فيما يتعلق بأوروبا : ماهو ارتباطنا بها ؟ نأخذ حضارتها ، نتوسط فى الموضوع . كل ذلك لم يكن الوضع الصحيح أو الوضع السليم للمشكلة ، وإنما الوضع الصحيح ، أو الوضع السليم للمشكلة هو :

ماهو المنهج الإسلامى ، أو المنهج القرآنى ، أو المحدثى ، فيما يتعلق بتهضة الشعوب الإسلامية ؟

وإذا جئنا إلى هذا المنهج فستجده بإذن الله واضحاً ، سهلاً ، ميسراً . إن أول كلمة فى الوحي . إن أول كلمة على الإطلاق هى « اقرأ » . وهذه الآيات

الكريمة الأولى من الوحي فيها : القراءة ، وفيها العلم والتعليم ، وفيها القلم .  
والأمر في غاية القرابة فيما يتعلق بدين من الأديان ، لا يبدأ بإثبات وجود الله  
أو الحديث عن الوجدانية مباشرة والاستخاضة في ذلك وإنما يبدأ بالعلم ،  
بالقراءة ، بالكتابة ، بالقلم وما يسطر به . كل هذا كان ابتداء الرسالة الإسلامية .  
ابتدأت الرسالة الإسلامية باقراً ، بدأت بالعلم ، وكان أول قسم أقسم الله سبحانه  
وتعالى به ، كان بالقلم وما يسطر بالقلم . ثم تستفيض الآيات القرآنية ،  
والأحاديث النبوية حاثّة على العلم موجبة له ، فارضة له ، باعثة عليه . تتحدث  
الآيات القرآنية عن العلم بالقصص ، وتتحدث عن العلم بالأسلوب المباشر .  
من القصص الموجه مباشرة إلى التربية ، والذي تستفيد منه التربية مباشرة ،  
وكانه موجه إليها ، أن سيدنا « موسى » عليه السلام يجلس بين قومه ، فيقول له  
أحدهم : هل هناك من هو أعلم منك ؟ فيقول : كلا ، ويعاتبه الله سبحانه  
وتعالى على ذلك . إن الشخص الذي ينتهى به الأمر إلى أن يعتقد أنه لا أعلم منه  
في الأرض . يحمد على وضع معين ، وينتهى في العلم إلى حد محدود ، ويمكث  
هكذا لايزداد ، يأخذ نوع من الاكتفاء ، فيصبح كالماء الراكد لا يسير .  
ويقول له الله سبحانه وتعالى يخبره أن هناك عبداً من عباده يعلم ما لا يعلمه  
« موسى » . يجوز أن يكون جاهلاً ببعض ما يعلمه « موسى » ، ولكنه على كل  
حال عنده علم ، نوع من العلم ليس عند « موسى » عليه السلام .  
ويأتي « موسى » بفتاه ويقول له : ( لا أُبْرِحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ  
الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ) ، لا بد أن أقابل هذا العبد من عباد الله ، ولو  
مكثت في السفر دهوراً وأحقاباً ، ويأخذ موسى فتاه ويسافران سفرًا مجهدًا يقول  
عنه موسى : ( لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ) ، ويلتقي بهذا العبد ،

والتعبيرات القرآنية في هذا اللقاء في غاية الدقة . إنه يبدوه بقوله : ( هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ) كلمة هل هنا ، ألفت شخصية « موسى » أنه عليه السلام بدأ بكلمة : هل ولم يقل إني أريد ، وإنما قال : هل ، ثم يتبع كلمة هل كلمة أتبعك ، لم يقل أصاحبك أو أرافقك أو أزاملك ، وإنما قال أتبعك .

كلمة « هل » وكلمة « أتبعك » ، في غاية الدقة في موقف التلميذ من الأستاذ . وما كان « موسى » في هذه الفترة التي يقضيها مع الخضر إلا تلميذاً مع أستاذه : ( هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ؟ ) .

ولم يترفق الأستاذ به ، مع إلغاء الشخصية ، ومع التبعية لم يترفق به ، وإنما قال له رفضاً بشبه الحث ، أو حثاً هو في صورة رفض ( إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ) ، ويبين له بهذا الموقف أن العلم ، في حاجة إلى صبر ، وأن من ليس بصابر ، لا يتأقن له مطلقاً أن يصل في العلم إلى درجات المتحرفين ، أو مبتدعين ، أو كبار المثقفين ( إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ) ، وكأنه يقول له نحن في ابتداء الطريق وأنا أشرط الصبر ، فإذا كان عندك الإرادة العازمة على الصبر فعرّفني بذلك ، ولم يكن هذا رفضاً صريحاً . ويقول له « موسى » في أسلوب التلميذ المتواضع ، التلميذ الصادق التلمذة ( سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ) ويضيف « موسى » من عنده أمراً آخر هو من الضرورات المطلقة فيما يتعلق بالتلمذة أيضاً ( سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ) عدم عصيان أمر الأستاذ ( وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ) والأستاذ الذي نتحدث عنه ، هو من توافرت فيه شروط الأستاذية . ويقول له العبد الصالح غير مترفق أيضاً ، يقول له : ( فَإِنْ

اتبعتني ... ) لم يقل فإن رافقتني أو زاملتني أو صاحبتني وإنما قال : ( فإن أتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً ) ، لا تسألني عن شيء . لأن الأستاذ الجدير بالأستاذية يستفيض حيناً تكون هناك ضرورة للاستفاضة ، ويوجز حيناً يقتضى الأمر الإيجاز ، بل يسكت حيناً يقتضى الأمر السكوت ..

من الأشياء المعروفة أن « أفلاطون » مثلاً كان له درسان ، درس عام للجمهور ، ودرس آخر لخاصة تلاميذه . في هذا الدرس الآخر ، كان أحياناً الدرس من أوله إلى آخره صحت ، لا كلمة فيه . وإنما يطلق أفلاطون في المبدأ كلمة من الكلمات ليفكروا فيها ، كلمة الشجاعة ، كلمة الفضيلة ، كلمة العفة ، كلمة من الكلمات ليفكروا فيها ، ويتركهم يفكرون طيلة الدرس ، وينتهي الدرس دون أن يقول « أفلاطون » شيئاً . وكان هذا الدرس ، درس خاصة لتلاميذه ، وليس درس الجمهور . أما درس الجمهور ، فإنه كان يتحدث فيه على سجيته ، إن القرآن يتحدث عن العلم في صورة قصص ، عن العلم الذى يربى ويهذب ويوضح القرآن المعالم ، والصلات بين الأستاذ والتلميذ ، ويتحدث عن قوة العلم ، وإلى أى مدى يمكن أن يصل العالم في القوة . فيتحدث في قصة أخرى :

يجلس « سليمان » عليه السلام بين قومه ويأخذون في الحديث عن « ملكة سبا » . ويقول « سليمان » : ( أيكم يأتيني بعرشها ) ؟ ويخاطبه ( عفريت من الجن ) فيقول له : ( أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ) ، ويستبطن « سليمان » الأمر ( قبل أن تقوم من مقامك ؟ ) ساعة أو ساعتين أو ثلاث ساعات . يستبطن « سليمان » الأمر ، إذ يجوز أن يمكث « سليمان » في

المجلس ثلاث ساعات أو أربع ساعات ، ويسأل من جديد ؛ فيقول الذي عنده علم من الكتاب : ( أنا أتيتك به قبل أن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ) ، وهنا كلمة ( علم من الكتاب ) « تنق المعجزة » علم من الكتاب ، إنه يحدد : من ( الكتاب ) ، فهي تنق إذن المعجزة ، إنها صورة من صور العلم ، أسلوب من أساليب العلم .

والواقع أن القرآن يحدثنا في عهد « سليمان » عن حضارة قوية مزدهرة ؛ يقول الذي عنده ( علم من الكتاب ) ؟ « ليس هذا العلم من الوحي ، وليس هذا العلم من الكرامات ، وليس هذا العلم من المعجزات ، وإنما هو من الكتاب . ومعنى ذلك أن العلم بسلطانه . وقوته وبالتغلغل فيه ، وبالتعمق فيه ، يصل إلى أكثر مما يصل إليه مرده الجن والشياطين . فيما يتعلق بقدرته في الأشياء ، وسواء اتفق المفسرون على هذا الأسلوب من التفسير . أو لم يتفقوا . فإنه من غير ما شك ، نوع من التفسير وإن لم يتفق عليه الجميع .

ويتحدث القرآن عن العلم ، عن طريق القصص ، ويتحدث القرآن عن العلم بالأسلوب المباشر . وأصل مباشرة ، إلى آيتين من الآيات الكثيرة الموجودة في القرآن والتي تشيد بالعلم والعلماء .

أما أولاً : فإن الله سبحانه وتعالى ربط خشيته بالعلم ، ( إنما يحشى الله من عباده العلماء ) وأعجل فأقول إن هذه الكلمة القرآنية أتت في معرض الحديث عن العلوم الكونية ، عن العلوم المادية ، عن الجبال والغرائب السود ، والألوان واختلاف الأجسام ، وبعد أن تحدث عن الكم . عن النواحي المادية قال سبحانه وتعالى : ( إِنَّمَا يَحْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) هذه العلوم الكونية كان يسميها أسلافنا رضوان الله عليهم تسمية دقيقة جميلة . كانوا

يسمونها علوم الكشف عن سنن الله الكونية . والله سنن في الكون كما له سنن في المجتمعات . وإذا ما اكتشفت هذه السنن الكونية لله سبحانه وتعالى في الكون . فإننا نزداد علماً به ونزداد إذن خشية له (إنما يخشى الله من عباده العلماء) . وآية أخرى ، تصل بالعلماء إلى ما لم يصل بهم مذهب قديم أو حديث أو نخلة قديمة وحديثة . لا في الشرق ولا في الغرب . يقول الله سبحانه وتعالى : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) ، « التوحيد » هو « لا إله إلا هو » . من الذي شهد مع الله سبحانه وتعالى « التوحيد » الملائكة . ومن الذي شهد مع الله ومع ملائكته « التوحيد » ؟ (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم) ، قرن أولى العلم به سبحانه وتعالى وبملائكته . في ماذا ؟ في « أشهد أن لا إله إلا الله » وهي قمة الإيمان . وقمة التوحيد : « أشهد أن لا إله إلا الله » ، إنها ليست : أقول لا إله إلا الله ، ولا أنطق بلا إله إلا الله . ولا أقتنع بلا إله إلا الله ، ولا أؤمن بلا إله إلا الله . ولا أعتقد بلا إله إلا الله . وكل هذه الصيغ من التعبير جميلة . ولكن القمة التي طالبنا الإسلام بها ، والتي وصل العلماء إليها ، والتي قرن الله سبحانه وتعالى العلماء به وبملائكته في شهادتها هي « أشهد أن لا إله إلا الله » وهي قمة الإيمان . ولن تجدد مطلقاً في الماضي ولا في الحاضر ، ولا في الشرق ولا في الغرب ، لن تجدد إشادة بالعلم كهذه الإشادة . أي علم ؟ أي علم يقصده القرآن ؟ إنه كل ما يبين قوانين الله سبحانه وتعالى في الكون . وبيان قوانين الله سبحانه وتعالى في الكون من الناحية الروحية المعنوية ، ومن ناحية المجتمع بينها القرآن وبينها السنة . وقوانين الله سبحانه وتعالى في الكون المادى ، ترك الله سبحانه وتعالى للإنسان الحرية المطلقة . في أن يبحث في أرجاء الكون ما شاء ، وأن يسير في

الكون حسبما أراد ، وأن يكون الكون كله مجالاً لأبحاثه ، ولم يقيد القرآن  
إلا بشيء واحد ، قيده بأن تكون أسسه : أسس البحث ، وغايات البحث  
متجهة إلى الله سبحانه وتعالى ، وليست متجهة إلى تدمير أو غلبة أو استعلاء ،  
وإنما هي متجهة إلى الله سبحانه وتعالى : إلى الفضيلة ، إلى إسعاد الإنسانية ،  
إلى هذه النواحي التي تفيد الإنسانية فيما يتعلق بسعادتها ، ولا تضر الإنسانية  
أو تشقيها . هذا هو القيد الوحيد الذي قيد الله سبحانه وتعالى به العلم .

ورسول الله ﷺ . يتحدث عن العلم . وحديثه الجامع عن العلم  
معروف . حديثه الذي رواه الترمذى ، ورواه غير الترمذى ، الذي يجعل طريق  
العلم طريقاً إلى الجنة . فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « من سلك طريقاً  
يبتغى فيه علماً ، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة . وإن الملائكة لتضع أجنحتها  
لطالب العلم رضى بما يصنع ، وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في  
الأرض حتى الحيتان في الماء . وفضل العالم على العابد . كفضل القمر على  
سائر الكواكب . وإن العلماء ورثة الأنبياء . وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً  
ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم . فمن أخذه أخذ بحظ وافر » .

واندفعت الأمة الإسلامية متأثرة بالقرآن . متابعة للقرآن . معترفة بأن  
شعارها هو شعار رسولها الكريم الذي كان ( رب زدني علماً ) . ومعترفة بأن  
شعورها وطابعها هو : « من استوى يومناه . في العلم أو الفضيلة فهو مغبون .  
ومن لم يكن إلى زيادة فهو إلى نقصان » . اندفعت الأمة الإسلامية في العلم :  
تفسيراً ، وحديثاً . وفقهاً . وأصول فقه . ولكنها يجوار ذلك . ومنذ أن بدأت  
أيضاً . اندفعت نحو العلم في خبايا الكون . وزوايا الوجود المادى : تكشف  
وتبحث وتفحص وتجرب وتنتظر وتستقرئ . وكل ذلك حدث فكانت النهضة

الإسلامية الكبيرة ، وكان هناك أعلامها ، أعلام هذه النهضة الذين لا يعدون بالعشرات وإنما يعدون بالمئات . كان هناك أعلامها في الرياضة . وكان هناك أعلامها في الطب ، وكان هناك أعلامها في الهندسة ، وكان هناك أعلامها فيما يتعلق بمختلف العلوم على شتى نواحيها . وكانت الحضارة الإسلامية هي الأساس الذي قدم للغرب فأخذته الغرب من ناحيته المادية ، ولم يأخذه بقيد الله سبحانه وتعالى ، من ناحية الأسس أو من ناحية الأهداف - لم يأخذه بهذا القيد : قيد الخير والفضيلة والرفق بالإنسانية - وإنما أخذه مطلقاً ، فكان التدمير أثراً من آثار علم الغرب ، وحضارة الغرب ، وكانت هذه المآسى التي شقيت بها الإنسانية من آثار هذا العلم ، لأنه كما يقول الغربيون أنفسهم يقولون إنها حضارة شيطانية ، لأنها لا تنتسب إلى أصل أخلاق ، ولا إلى أصل روى . ولا إلى أصل ديني .

يقول الكثيرون من المتزئين فيما يتعلق بالحضارة الغربية . يقولون إنها حضارة شيطانية ، لأن الحضارة الصادقة ، هي ما يكون فيها الناحية الروحية والناحية المادية .

الناحية الروحية التي تسيطر عليها في التوجيه ، وفي التنظيم ، وفي الاستعمال ، والناحية المادية التي تفيد في كشف القوانين المادية . ومن أجل ذلك كانت الحضارة الإسلامية متكاملة ، وإن كان الله سبحانه وتعالى قد بدأ بقوله : « اقرأ » ، فإنه أتبع ذلك مباشرة بقوله : ( باسم ربك ) ، فكان هناك العلم في الكلمة الأولى ، وكان هناك الإيمان في الكلمتين الثانيةين . ( اقرأ ) لم يطلقها وإنما قيدها ( باسم ربك ) ، وإذا أنت تبصرت فيما يتعلق بهذه الكلمات الثلاث ( اقرأ باسم ربك ) ، وجدت أن ( اقرأ ) تعنى ، لغة ، الأمر بالقراءة ، ولكنها

في حقيقة الأمر رمز لكل عمل يأتيه الإنسان . والمعنى الحقيقي لهذا الرمز ( اقرأ باسم ربك ) ، « اعمل باسم ربك » « قم باسم ربك » ، « إذا تحركت فتحرك باسم ربك » ، « وإذا سكت فاسكت باسم ربك » ، « وإذا قلت فقل باسم ربك » ، « وإذا صمت فاصمت باسم ربك » ( اقرأ باسم ربك ) إنها رمز لكل عمل يأتيه الإنسان ، ومن أهم هذه الأعمال العلم ، ولذلك كانت الكلمة التي تعبر عن العلم هي الكلمة الرمزية في هذا المجال . ولم يقل الله في هذه الكلمات الأولى « اقرأ باسم الله » ، وإنما قال : ( اقرأ باسم ربك ) . وأنا شخصياً في حقيقة الأمر كنت أتوقع لأول وهلة بالنظرة القاصرة - نظرة الإنسان عادة - كنت أتوقع أن يقول : ( اقرأ باسم الله ) . ولما فكرت في الأمر رأيت الحكمة الحكيمة لله سبحانه وتعالى حينما يقول : ( اقرأ باسم ربك ) . اقرأ باسم المرئى ، اقرأ باسم التربية التي ستأتى . أنت في حرية مطلقة قبل أن تدخل في هذا الدين ، فإذا دخلت فيه يجب أن تلتزم من المبدأ بتربية المرئى . وجاءت تربية المرئى تتوالى في الجو الإسلامى ، تتوالى في صورة تشريع . وتتوالى في صورة أخلاق ، وتتوالى في صورة عقائد ، وتتوالى في صورة تنظيم المجتمع . وتتوالى في صورة الثقة بالله سبحانه وتعالى ، وإلى أى مدى هذه الثقة تكون : ( اقرأ باسم ربك ) ، أما ما لم يكن باسم ربك فإنه ليس بإيمان . وما لم يكن باسم ربك كالدييحة تذبح على النصب فهو فسق . يقول تعالى : ( ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ) ، وكلمة فسق هنا لا تختص بما ذبح على النصب فقط ، أو بما لم يذكر اسم الله عليه من الذبائح فقط . وإنما كل أمر لا يصدر على النية الخالصة لله ، فإنه في العرف الإسلامى فسق ولو كان عمل خبير .

إن هناك تفرقة بين الوثنية والإيمان ، يجب أن نتدبرها . ما هي الوثنية ؟ هي ما يصدر عنا لا نريد به ، أو لا نذكر عليه اسم الله . أو تكون نيتنا فيه غير صادرة عن الأسس الإسلامية ، وكل ما كان غير صادر عن المبادئ الإسلامية فهو وثنية . أما الإيمان فإنه الصادر عن الله سبحانه وتعالى : عن قرآنه وعن سنته .

وكل عمل إذن ليس صادراً : في النية أو في الموضوع عن الجو الإسلامي . فإنه يعتبر وثنية وكل وثنية هي فسق ، لأنه لا يذكر اسم الله عليها ، ولا يصدر الإنسان فيها عن الدين .  
أيها الإخوة المؤمنون :

أطلق الله سبحانه وتعالى الحرية للإنسان في العالم المادى ولم يقيده إلا بهذا القيد . قيد أن تكون النية فيه لله سبحانه وتعالى . ولكنه سبحانه وتعالى فيها يتعلق بالمعائد . وفيها يتعلق بالتشريع . وفيها يتعلق بالأخلاق . حسب الأمر حسماً كاملاً تاماً ، لا لبس فيه ولا شائبة فيه . يجب على الأمة الإسلامية وجوباً مطلقاً أن تصدر فيما يتعلق بنظام مجتمعها . وفيها يتعلق بأخلاقها . وفيها يتعلق بعقائدها . وفيها يتعلق بتشريعيها .. أن تصدر عن الله سبحانه وتعالى .

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى رسالة هي آخر الرسالات ، وتعليل أنها آخر الرسالات أمره سهل . إن الكتب السابقة التي كانت تحتوى الرسالات كانت تغير وتبدل وتتناقض وتتعارض وتختلف بعمل الإنسان . فكان من الطبيعي أنه حيناً تندثر هذه الكتب وتزول . تصبح الرسالة وقد زالت . وكان لا بد إذن من هداية الإنسان برسالة أخرى . وأحب الله سبحانه وتعالى أن تختتم الرسالات بمحمد ﷺ . فأنزل عليه كتاباً ضمن حفظه ( إنا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

وإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ، هذا الكتاب هو الرسالة الدائمة الخالدة . فليست الإنسانية في حاجة إلى رسالة أخرى . ليست في حاجة إلى « بهائية » ، وليست في حاجة إلى « قديانية » ، وليست في حاجة إلى مزيفات كـمزيفات « مسيلمة » الكذاب ، أو « سجاح » الكاذبة . ليست الإنسانية في حاجة إلى مزيفات من أمثال هذه . لأن عندها كتاب الله .

من المميزات الضخمة الهائلة للغة العربية وللمسلمين ، أن أنزل الكتاب الكريم بها . إنها اللغة الوحيدة في العالم . التي تتضمن أسلوب الله سبحانه وتعالى . التي فيها النص المقدس الذي هو كلام الله سبحانه وتعالى . ومن أجل ذلك فإنه منذ نزول القرآن بها أصبحت لغة مقدسة . وكل تبريج من هؤلاء الذين يريدون أن يتعدوا عنها في اللهجة أو في الكتابة . إنما هو ابتعاد عن الروح الحقيقية للجو الإسلامي .

ومن المميزات الضخمة الهائلة للمسلمين . أنهم يستمدون دينهم من الأسلوب الإلهي . إنهم يأخذونه عن القرآن . وليس هناك نخلة أخرى أو مذهب آخر يستمد عقيدته أو أخلاقه أو تشريعه . عن الأسلوب الإلهي . إن القرآن ميزة ضخمة للمسلمين كمصدر لحياتهم . إنه مصدر بالأسلوب الإلهي . وميزة ضخمة للغة العربية . لأنها أصبحت هي اللغة الوحيدة التي تحتوى على نص مقدس بالأسلوب الإلهي نفسه . ومنذ نزول القرآن أصبحت اللغة العربية لغة الإسلام . إنها قبل نزول القرآن . كانت لغة الجزيرة العربية : لغة إقليمية . أما بعد نزول القرآن . فإنها أصبحت لغة الإسلام لأنها لغة القرآن .

أيها الإخوة المؤمنون :

ويسير القرآن والرسول ﷺ في طريق واضح من ناحية تشريع : ليس

للإنسان حرية التشريع . له حرية الشرح . له حرية الاستنتاج . ولكن حرية التشريع ليست له . وقد كتب « الإمام الشافعي » رضى الله عنه بالنسبة لتوضيح قواعد استنتاج التشريع . هذا العمل العظيم الذى نسميه فى صراحة منطق المسلمين . إنه ألف عبقرية مبتكرة - « أنا لست شافعى المذهب . وهذا إذن ليس مدحاً منى للإمام الشافعى من أجل اعتناقه لمذهبه » - ألف فى عبقرية مبتكرة ، أصول الفقه . وكان هذا الابتكار ضخماً . هائلا . إنه يعتبر فترة من الفترات التى تجلى الإلهام الإلهى فيها على الإمام الشافعى فصنع ما صنع . إن الإنسان لا حرية له فيما يتعلق بالتشريع . وليس أمر التشريع موكولا إلى الإنسان . وإنما هو مركوز إلى الله سبحانه وتعالى . هذا التشريع طُبق فى الجور الإسلامى . إنه لم يعد نظرية غير مطبقة . وكل من يهرج فيقول : إن هذا التشريع خيالي لا يطبق . يكذبه . أنه طبق وأصبح واقعا . لقد خرج من نظرية إلى واقع ، ومن مبادئ إلى تطبيق . إنه لم يعد كلاما فحسب . لقد أصبح واقعا بدل أن يكون نظرا فحسب . أو كلاما فحسب .

مجتمع إسلامى كان خير مجتمع أخرج للناس . . . وقد بين الله سبحانه وتعالى لنا فى صور حاشية الموقف بالنسبة للتشريع الإلهى ، إنه سبحانه يقول :  
 ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ) . ويقول :  
 ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ) ، ويقول :  
 ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ) ، ويقول :  
 ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكّموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ) . هذا فيما يتعلق بالتشريع ، إنه لا يتأتى مطلقا أن يدور فى خلد مسلم صادق الإيمان : أن

تكون الشريعة الإسلامية المصدر الأساسى للتشريع كلاً . وإنما الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع ، هذا هو شعور المؤمن الصادق الإيمان ، وهذا هو ماتعبه عن في صدق وفي إخلاص وفي حسم هذه الآيات التي نحدثنا عنها ، والتي وصف الله سبحانه وتعالى فيها من لم يحكم بما أنزل الله ، لقد وصفه مرة بالظلم ، ثم زاد هذا الوصف فوصفه بالفسق ، ثم في النهاية وصفه بالكفر ، وما من شك في أن من يجرد عن التشريع الإلهي مختاراً غير مضطر ، فإنه ظالم وهو فاسق وهو كافر ، وهذا هو وصف الله سبحانه وتعالى وليس وصفنا نحن .

وكان الموقف حاسماً أيضاً فيما يتعلق بالأخلاق ، فإن الأخلاق الإسلامية . يجب أن تكون كما هي في الجور الإسلامى . وكان الموقف حاسماً فيما يتعلق بنظام المجتمع ، ولا بد أن نسير في نظام مجتمعنا على حسب مآرسته الإسلام لنظام المجتمع ، وهكذا الأمر أيضاً فيما يتعلق بالعقائد .

أيها الإخوة المؤمنون :

إن الغرب فيه ثقافة وفيه العلم المادى . والإسلام - كما قلنا - أطلق لنا العنان فيما يتعلق بالعلم المادى بالقيود الذى ذكرناه . ولا بد أن نعتز منه أينما وجدناه ، ولكننا لا نعتز فحسب . وإنما نعتز ونطور ونخترع فيه . ونبتدع ونكون من المنشئين له المطورين له . المبتدعين له ، نكون من أعلامه بل في قمة أعلامه .

أما فيما يتعلق بالذاتية الإسلامية . والذاتية الإسلامية تعنى تشريعاً وتعنى نظام مجتمع وتعنى نظام عقائد . وتعنى أخلاقاً فإنه لا بد وأن نأخذها من

الإسلام . إن الحضارة الغربية في قسمها الثقافي زيفت تزيفاً كاملاً . ونضرب بعض الأمثلة :

« علم الاجتماع ، وعلم النفس » . من الذي يدرسها في أوروبا وأمريكا في العصر الحاضر ؟ أكثر من ثمانين في المائة من أساتذتها هم من اليهود . وقد وضعوا الخطة محكمة متعمدين أن يستولوا على كراسي الجامعات في هاتين المادتين بالذات « علم النفس . وعلم الاجتماع » وعلم النفس الذي خرج إلى التجربة فأصبح مادياً لا يعأ به أساتذة اليهود . وإنما يعثون بعلم النفس الذي مازال نظريات مثل : كيف نشأت الأديان ؟ الأخلاق كيف تقوم ؟ ماهو المصدر للأخلاق ؟ ماهو المصدر للدين ؟

إن هذه كلها نظريات . ومن أجل ذلك يتحدثون عنها . ويذكرون آراء يتعمدون التزيف فيها . ويحاولون بذلك أن يفسدوا على الإنسانية عقائدها وأخلاقها وتشريعها ، عن طريق علم النفس . وعن طريق علم الاجتماع لأنها نظريات يمكن لك أن تبرهن بأسلوب شيطاني على صدق بعضها . تحدثوا عن نشأة الأديان . وكان الله سبحانه وتعالى غير موجود . وهكذا الأمر في كل هذه النواحي . . أفسدوا على شباب الجامعات في أوروبا وأمريكا دينهم وأخلاقهم . وهم يخفون من وراء ذلك - وهذا من المعروف - أن يفسدوا على الإنسانية . « مسيحية ومسلمة » . وكل نخلة من النحل أن يفسدوا عليها أخلاقها ، وأن يفسدوا عليها دينها لتتحلل وتفسد ، وسيطروا هم من وراء كل ذلك .

إنهم يقولون في هذا الكتاب الذي يجب أن يقرأه المسلمون جميعاً : كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » يقولون مثلاً نحن الذين رتبنا نجاح « كارل ماركس » و « كارل ماركس » يقول : إن الدين أفيون الشعوب . ولما قبل له

لكن الإنسانية لا تستغنى عن عقيدة . فما هو البديل لعقيدة الألوهية ؟  
فقال بصراحة : « البديل عن عقيدة الألوهية المسرح . الهوم في  
المسرح . افتحوا المسارح . واجعلوهم يتناقشون في التمثيليات وفي الروايات .  
فذلك يصرفهم عن الله سبحانه وتعالى ... » نحن الذين رتبنا نجاح « كارل  
ماركس » . هذا مايقوله اليهود . رتبوا نجاحه بالمقالات . بالصحف . بكل  
وسيلة من الوسائل . ويرتبون نجاحه في الجامعات عن طريق علم الاجتماع .  
ونحن الذين رتبنا نجاح « فرويد » صاحب « نظرية الجنس » . يقول لك :  
« إنك تعتقد أنك تسير بحسب مثل عليا ، وبحسب فضائل وماشاكل ذلك .  
كلا إن الذى يسيرك الغريزة . بنسبة » . إنه ينحط بالإنسانية إلى مستوى أقل من  
مستوى الحيوانات . ومن أجل ذلك رتبوا نجاحه . لأنه يجعل أن لا مكان  
لشيء اسمه الفضيلة أو لشيء اسمه الكرامة . أو لشيء اسمه المثل العليا . إنه جعل  
كل سبب وكل علة للسلوك الإنسانى إنما هي الغريزة الجنسية . ورتبوا نجاحه  
أيضاً في الصحف والمجلات بالمقالات . بالكتب . لا بالعشرات وإنما بملكات  
في بيان نظريته : لأنها أيضاً نظرية تفسد على الإنسانية أخلاقها ومثلها العليا  
وفضائلها . وأخذوا يستفيضون في تدريس نظريته في علم النفس . ونحن الذين  
رتبنا نجاح « نيتشه » و« نيتشه » أنكر الأخلاق الفاضلة على الإطلاق . إنه  
يقول : « إن مايسمونه الأخلاق الفاضلة ضعف ، وأنه إذا تسير لك أن  
تذبح . أو ترزى ، وأن تشرق وأن يكون استمتاعك في هذا . وأن تسيل الماء  
أنهاراً . وأن تمشى على رؤوس بنى البشر فافعل » . ومن أجل ذلك أيضاً رتبوا  
نجاحه بكل الوسائل الممكنة .

ونحن الذين رتبنا نجاح « داروين » . إن هذه اعترافاتهم وليست من



بالأدلة الثابتة عندهم .

ومن غريب الأمر أننا نستعمل كلمة التطور فيما يتعلق بالإنسانية بمحيطاتنا الإسلامية ، وسيطرت علينا الكلمة . وكأنها حقيقة ، وكما تأثرنا في كثير من الآراء ، آراء « فرويد » أو آراء « كارل ماركس » تأثرنا أيضاً بنظرية التطور ، واستعملناها في كتاباتنا ، ومن زراء كل ذلك اليهود . إنهم يحبون أن يفسدوا على الإنسانية أخلاقها ودينها .

أيها الإخوة المؤمنون :

يتلخص في النهاية الذي أريده . أنه من أجل نهضة الأمم الإسلامية يجب تأخذ بالعلم المادى إلى أقصى ما يمكن أن تأخذ به في هذا الجانب المادى . أما الجانب الآخر : الروحى والاجتماعى ، فإننا تأخذ بما رسمه الله سبحانه وتعالى في الأخلاق . وما رسمه الله سبحانه وتعالى في التشريع . وتأخذ بما رسمه سبحانه وتعالى في العقائد . وتأخذ بما رسمه الله سبحانه وتعالى في نظام المجتمع .. لايتأتى مطلقاً لأمة مسلمة أن تحيد عنه وإلا تخلت عن رسالتها ، وأعود فأكرر ماقلته إن المبرر الوحيد لوجود الأمة الإسلامية إنما هو هذه الرسالة ، آخر الرسائل .. ، هذه الرسالة التى كُلفت بها . فإذا تخلت عنها فإنها تصبح ولا رسالة لها .. ومع كل فإننا متفائلون بإذن الله .

وإننا نرى على مر الزمن نوعاً من البعث الإسلامى ، هذا البعث الإسلامى يقوى إذا تكاتف هؤلاء الذين يدعون إلى النهضة الإسلامية الحقيقية . إذا تكاتفوا وتعاونوا ، وأصبحت تربط بينهم وبين بعضهم الصلات الوثيقة فإن هذا البعث يقوى بإذن الله .. وكفى بربك هادياً ونصيراً ..  
هذا وبالله التوفيق .